



الإيتار والأثرة

ملخص الخطبة

- ١- عظم نعم الله تعالى. ٢- الغفلة عن شكر نعم الله تعالى. ٣- من مظاهر كفر النعم. ٤- تنازع الناس وخصوماتهم بسبب الأثرة. ٥- ذم الحرص والأثرة. ٦- الحث على الإيتار. ٧- سعة رزق الله تعالى. ٨- وجوب الرضا بقسم الله تعالى. ٩- ذم الحسد.

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِدْلَالٍ أَوْ بُرْهَانٍ مَا حَبَا اللَّهُ أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالنِّعَمِ، وَمَا اخْتَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْعَطَايَا وَالْمِنَنِ، حَيْثُ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ضَيْقٍ وَأَغْنَاهُمْ بَعْدَ فَقْرٍ، فَلَهُ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ، وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ.

وَلَكِنَّ مِمَّا يَحْزُنُ فِي نَفْسِ الْغَيُورِ عَلَى هَذِهِ الْأَلَاءِ وَتِلْكَ النَّعْمِ غَفْلَةٌ فَنَامَ مِنَ النَّاسِ عَنِ قِيَمَتِهَا وَعَظِيمِ شَأْنِهَا، وَتَقْرِيظُهُمْ فِيهَا وَعَدَمَ تَقْيِيدِهَا بِشُكْرِ الْوَاهِبِ سُبْحَانَهُ؛ إِذْ إِنَّ مِنَ الْمُتَقَرِّرِ أَنَّ النَّعْمَ إِذَا شُكِرَتْ قَرَّتْ، وَإِذَا كُفِرَتْ فَرَّتْ، وَإِذْ تَأَذَّنَ رُكُومٌ لِنِّ شُكْرِهِمْ لِأَزِيدَتِكُمْ وَلِنِّ كُفْرَتِهِمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ.

وَإِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ كُفْرِ النَّعْمَةِ الَّتِي لِحُظِّ أَنْهَا تَزْدَادُ بِازْدِيَادِ النَّعْمِ وَتَكْتُرُ بِوَفْرَتِهَا مَا يَصْدُرُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ رَعْنَاءَ مَصْدَرِهَا أَفْكَارٌ حَمَقَاءُ تُنْبِئُ عَنِ قُصُورٍ فِي الْفَهْمِ وَخَلَلٍ فِي التَّفَكِيرِ وَالنَّصُورِ، حَيْثُ يُغْرِقُونَ فِي حُبِّ ذَوَاتِهِمْ وَالْإِنْكَفَاءِ عَلَيْهَا، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ مِنْ غَيْرِهِمْ فِي التَّمَتُّعِ بِمَا حَوْلَهُمْ مِنَ النَّعْمِ دُونَ مُنَازَعِ وَلَا مُشَارِكِ، نَاسِينَ أَوْ مُتَنَاسِينَ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ وَاسِعٌ وَخَيْرُهُ عَمِيمٌ، وَأَنَّ خِرَائِنَهُ مَلَأَى وَيَدَهُ سَخَاءٌ بِالْعَطَاءِ لَيْلًا وَنَهَارًا، لَا يَنْقُصُ مِنْ مِلْكِهِ شَيْءٌ وَلَوْ أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ لَا يَنْقُصُ رِزْقُ أَحَدٍ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهِ آخَرٌ، وَأَنَّهُ لَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ اللَّهُ وَلَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ.

يُقَالُ هَذَا الْكَلَامُ . أَيُّهَا الْإِخْوَةُ . لِمَا يَرَاهُ الرَّقِيبُ مِنْ اسْتِمْرَارِ قَضَايَا التَّنَازُعِ وَالشَّكَاوَى فِي الْمَحَاكِمِ وَمَخَافِرِ الشَّرْطِيَّةِ، وَالَّتِي لَا مَنَشَأَ لَهَا إِلَّا الْحَسَدُ وَضَيْقُ الْأُفُقِ وَتَمَكُّنُ الْأَثَرَةِ مِنَ الْقُلُوبِ، فَجَارَ يَشْكُو جَارَهُ عَلَى أُمَّتَارٍ قَلِيلَةٍ اقْتَطَعَهَا مِنْ أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهَا جَمِيعًا، وَأَخْرَجَ يَنْبَرُّ مِنْ صَاحِبِ مَرْزَعَةٍ حَفَرَ بِنْرًا بِجَانِبِ بِنْرِهِ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ امْتَصَّ الْمَاءَ عَنْهُ، وَتَاجَرَ يَنْسَخُطُ مِنْ قِلَّةِ كَسْبِهِ لِأَنَّ فُلَانًا افْتَتَحَ مَحَلًّا يُزَاوِلُ فِيهِ نَشَاطَهُ وَيَبِيعُ كَمَثَلِ سِلْعَتِهِ، وَصَاحِبُ إِبِلٍ أَوْ غَنَمٍ يَشْكُو أَنَّ فُلَانًا ضَايَقَهُ أَوْ اسْتَأَثَرَ بِالْكَأَلِ دُونَهُ، فَيَسْعَى لِلتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ وَيَتَمَحَّلُ الْحَيْلَ لِزَرْعِ الْمَلِّ فِي نَفْسِهِ، إِلَى آخِرِ مَا هُنَالِكَ مِنْ شَكَاوَى يَصِلُ بَعْضُهَا إِلَى الْمَوْسَسَّاتِ الرَّسْمِيَّةِ وَالْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيَظَلُّ أَكْثَرُهَا حَبِيسَ الْمَجَالِسِ رَهِيْنَ الرُّوَايَا، تَلُوكُهُ الْأَلْسِنَةُ وَتَتَحَرَّكَ بِهِ الشَّفَاهُ، وَيَجْعَلُهُ الْمُتَسَامِرُونَ مَادَّةَ لِحَدِيثِهِمْ وَيَأْخُذُونَ فِيهِ وَيُعْطُونَ، وَيُسِرُّ بِهِ



أَنَاسٌ لآخَرِينَ وَيَتَأَمَّرُونَ، وَيَعْمَلُ الشَّيْطَانُ عَمَلَهُ وَيَجِدُ فُرْصَتَهُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمْ وَالنَّفْتِ فِي نَارِ الْبَغْضَاءِ وَإِشْعَالِ وَقُودِ الْحَسَدِ، وَصَدَقَ الشَّاعِرُ إِذْ قَالَ:
لَعْمُرِكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرَّجَالِ تَضِيقُ
نَعْمَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِمَنْ حَلَّ فِيهَا، وَلَا نَفِدَ رِزْقُ اللَّهِ لِكَثْرَةِ مُشَارِكِ، لَكِنَّهَا أَخْلَاقُ الرَّجَالِ
وَصُدُورُهُمْ، لَكِنَّهَا قُلُوبُ الرَّجَالِ وَأَفْنِدَتْهُمْ، لَكِنَّهُ الْحَمَقُ وَالطَّيِّشُ وَضِيقُ الْعَطِينِ، لَكِنَّهُ النَّزَقُ وَالْحِقْفَةُ
وَضَعْفُ التَّحْمَلِ. إِنَّهُ الْحَسَدُ وَالغَيْرَةُ وَضَعْفُ الْيَقِينِ وَقِلَّةُ التَّوَكُّلِ، مَاتَ آبَاؤُنَا وَقَبْلَهُمْ قَضَى أَجْدَادُنَا،
وَفَنِيَتْ أَجْيَالٌ وَتَلَّتْهَا أَجْيَالٌ، وَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَوْقَ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَسَمُمْتُ كَمَا مَاتُوا وَنَسَى كَمَا نُسُوا،
وَلَنْ يَزِيدَ فِي رِزْقِ أَحَدٍ مِمَّا حَرِصُهُ وَلَا جَسَعُهُ وَلَا طَمَعُهُ، وَلَا حَسَدَهُ لِأَخِيهِ أَوْ جَارِهِ أَوْ قَرِيبِهِ، أَوْ أَنْ
يَتَحَلَّى بِالْأَثَرَةِ فَلَا يَرَى إِلَّا نَفْسَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَنْ يَنْفَصَّ مِمَّا قَسَمَ لَهُ أَنْ يُشَارِكُهُ الْآخَرُونَ فِي رِزْقِ مُشَاعٍ،
لَكِنَّهَا قَنَاعَاتٌ شَيْطَانِيَّةٌ وَإِرْجَافَاتٌ إِبْلِيسِيَّةٌ، يَرْرَعُهَا الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ مَنْ ضَعَفَ بِاللَّهِ إِيْمَانُهُمْ، وَبَيَّنَّتْهَا
فِي صُدُورِ مَنْ قَلَّتْ بِاللَّهِ تَقَنُّتُهُمْ، وَيُرْعَزُ بِهَا عَقِيدَةُ مَنْ عَدِمَ عَلَيْهِ تَوَكُّلُهُمْ، وَيُجْلِبُ بِهَا عَلَى مَنْ ضَمَرَ
عَلَى رَبِّهِمْ اعْتِمَادُهُمْ، فَلَمْ يَرَوْا مِنَ الْأَسْبَابِ إِلَّا مَا ظَهَرَ لِأَعْيُنِهِمْ، وَلَمْ يَقْنَعُوا مِنَ الْأَرْزَاقِ إِلَّا بِمَا
حَسَبَتْهُ عُقُولُهُمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، مَا أَجْمَلَ أَنْ يَتَحَلَّى الْمُسْلِمُونَ بِخُلُقِ الْإِيثَارِ وَسَمَاحَةِ النَّفُوسِ، فَيَطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنْ
وَاهِبِهِ وَيَسْأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ، وَلَا يَسْتَعْلُوا بِمُدَافَعَةٍ أَحَدٍ أَوْ حَسَدِهِ أَوْ التَّضْيِيقِ عَلَيْهِ فِيمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ.
وَمَا أَفْبَحَ أَنْ يَكُونُوا لِبَعْضِهِمْ حَاسِدِينَ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَأْسِسِينَ مُبْلِسِينَ، وَفِيمَا يُوغِرُ صُدُورَهُمْ
مُشْتَعَلِينَ. أَمَا لَهُمْ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ وَقُدُوةٌ؟! أَيْنَ هُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ فَرِحُوا بِمَقْدِمِ
إِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَاسَمُوهُمْ الضَّيْعَاتِ وَالذُّورَ، وَآثَرُوهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالذُّورِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي
امْتِدَاحِ اللَّهِ لَهُمْ حَيْثُ قَالَ: وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ؟! كَيْفَ يَتَّصِفُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَامْتَنَّ عَلَيْهِمُ بِالْإِيمَانِ
وَجَعَلَهُمْ إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، كَيْفَ يَتَّصِفُونَ بِأَخْلَاقِ الْكُفْرَةِ وَالطَّغَاةِ فِي عَالَمِ الْيَوْمِ الَّذِي
تَقُومُ فِيهِ حُرُوبٌ عَلَى الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ ثُمَّ لَا تَقْعُدُ، وَيُقْتَلُ فِيهِ الْأَبْرِيَاءُ وَالنِّسَاءُ وَالضُّعْفَاءُ مِنْ أَجْلِ
الاسْتِنْتَارِ بِالنَّرَوَاتِ وَنَهَبِ الْخَيْرَاتِ وَحَسَدًا لِلنَّاسِ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟! أَقُولُ: كَيْفَ يَتَّصِفُ
الْمُسْلِمُونَ بِأَخْلَاقٍ مَنْ لَا يَرْجُونَ جَنَّةً وَلَا يَخَافُونَ نَارًا؟! كَيْفَ يَسْمَحُونَ لِلْحَسَدِ أَنْ يَمْلَأَ قُلُوبَهُمْ وَيُضَيِّقَ
صُدُورَهُمْ؟! أَيُّظُنُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مَنَعِ رِزْقِ اللَّهِ لِغَيْرِهِمْ قَادِرُونَ، أَمْ مِنْ ضِيقِ الْأَرْزَاقِ لِكَثْرَةِ مَنْ يُشَارِكُهُمْ
هُمْ يَخَافُونَ؟! أَمْ هَلْ يَظُنُّونَ أَنَّ حِرْصَهُمْ سَيَزِيدُهُمْ عَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُمْ وَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ؟! أَمَا
عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، وَأَنَّ خَزَائِنَهُ مَلَأَى لَا تَنْقُصُ وَلَا تَعْبُثُ؟! أَفِي شَكِّ هُمْ مِنْ
أَنَّ الرِّزْقَ مُقَدَّرٌ مَحْدُودٌ؟! أَيُّخَافُونَ أَنْ يَمُوتُوا وَمَا اسْتَكْمَلُوا مَا لَهُمْ مِنْهُ؟! يَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي الْحَدِيثِ



الْفُدُوسِيَّ: ((يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ))، وقال : ((إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَعْضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟! فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ رُوحَ الْفُودِ نَفَتْ فِي رُوعِي أَنْ نَفَسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبُهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ))، وقال عليه السلام: ((إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ))، وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى ثَمْرَةَ غَائِرَةً فَأَخَذَهَا فَتَأَوَّلَهَا سَائِلًا، فَقَالَ: ((أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لِأَنَّكَ)).

نَعَمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، رِزْقُ اللَّهِ وَاسِعٌ، وَعَطَاؤُهُ غَيْرُ مَحْدُودٍ، وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، فَعَلَامَ النَّسْحُطُ؟! وَالِي مَتَى التَّحَاسُدُ وَالتَّبَاغُضُ؟! أَمَا أَنْ لِلْقُلُوبِ أَنْ تَرْضَى بِمَا قَسَمَ لَهَا عَلَامُ الْغُيُوبِ؟! أَمَا أَنْ لِلنُّفُوسِ أَنْ تَقْنَعَ بِمَا آتَاهَا الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ؟! أَمَا أَنْ لِلصُّدُورِ أَنْ تَمْتَلِئَ يَقِينًا وَتَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ؟! أَلَا يَحْسُنُ بِكُلِّ امْرئٍ أَنْ يَسْعَى فِي طَلَبِ رِزْقِهِ وَتَدْبِيرِ شُؤُنِ مَعِيشَتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْاِسْتِغَالِ بِالتَّضْيِيقِ عَلَى الْآخِرِينَ وَتَنَغِيصِ مَعَايِشِهِمْ!؟

إِنَّ الْحَيَاةَ لِأَعْلَى مِنْ أَنْ تُضَاعَ فِي شَكْوَى الْآخِرِينَ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ الدُّنْيَا لِأَقْلُ مَكَانَةً وَأَحَقُّرُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَجْعَلَهَا مُؤْمِنٌ لَهُ هَدَفًا وَيَتَّخِذَهَا غَرَضًا، فَلَا يُقِيمُهُ وَيُعْضِبُهُ إِلَّا بَعْدَهَا وَأَنْفَلَتْهَا مِنْ يَدِهِ، وَلَا يُقْعِدُهُ وَيُرْضِيهِ إِلَّا قُرْبُهَا مِنْهُ وَإِمْسَاكُهُ بِزِمَامِهَا. إِنَّهُ لَا أَفْسَدَ لِدِينِ الْمَرءِ وَتَقْوَاهُ وَلَا أَشَدَّ تَنَغِيصًا لِحَيَاتِهِ وَتَكْدِيرًا لِعَيْشِهِ مِنْ حِرْصِهِ عَلَى الدُّنْيَا وَجَشَعِهِ فِي طَلَبِ الْمَالِ وَعَدَمِ رِضَاهُ بِمَا فِي يَدِهِ وَاسْتِغَالِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا عِنْدَ الْآخِرِينَ، قَالَ : ((مَا ذِيْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدِ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرْفِ لِدِينِهِ))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالرُّهْدِ وَالْيَقِينِ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ)).

فُرْ بِرَاحَاتِ قَلْبِكَ الْغَرَّ يَا مَنْ... رَادَ مِنْ قُوْتِ مَا يَرُومُ انزِعَاجُهُ
وَاطْرَحِ الْهَمَّ عَنِ فُؤَادِكَ وَارِيحْ... صَفَوْ عَيْشٍ إِنْ طَبِتَ طَابَ نِتَاجُهُ
لَا تَقُلْ قَلَّ دُونَ غَيْرِي رِزْقِي... كُلُّ رِزْقٍ مُقَدَّرٌ إِخْرَاجُهُ
قِسْمَةٌ اللَّهِ لَا زِيَادَةَ فِيهَا... لَا وَلَا نَقْصَ عَذْبُهُ وَأَجَاجُهُ
وَالْفَتَى غَيْرُ رِزْقِهِ لَمْ يَنْلُهُ... وَلَوْ اِحْتَالَ وَاسْتَطَالَ لِجَاجُهُ
كَمْ شَجَاعٍ أَرَادَ رِزْقَ سِوَاهُ... يَحْتَوِيهِ فَقَطَّعَتْ أَوْدَاجُهُ
وَلَكُمْ ضَمٌّ رِزْقَ عَسَانَ حِصْنٍ... فَعَزَّوهُ وَهَدَّمَتْ أَبْرَاجُهُ
صَاحٍ لَوْ كَانَ فِيكَ رِزْقُكَ مَا لَمْ... يَفْتَحِ اللَّهُ عَاقَكَ اسْتِخْرَاجُهُ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ



وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ: فاتقوا الله تعالى وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَلَا تَعْصُوهُ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.

ثم اعلموا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ وَيَقْنَعَ بِمَا أُوتِيَ، وَأَنْ يَتَمَنَّى لِإِخْوَانِهِ وَيُحِبُّ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، لَا أَنْ يَكُونَ حَاسِدًا ضَائِقَ الصَّدْرِ بَرِزِقٍ لَيْسَ فِي يَدِهِ زِيَادَتُهُ وَلَا النَّقْصُ مِنْهُ، قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَوْمُنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ)).

لَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ النَّاسِ مُتَّفَاوِتَةً وَعَطَايَاهُ لَهُمْ مُخْتَلِفَةً، فَيُوسِّعَ عَلَى بَعْضِهِمْ وَيُضَيِّقَ عَلَى آخَرِينَ، وَقَدَرَهُ فِي ذَلِكَ جَارٍ وَأَمْرُهُ نَافِذٌ، وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ بِحِيلَةٍ أَوْ قُوَّةٍ أَنْ يُغَيِّرَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ شَيْئًا، قَالَ سُبْحَانَهُ: وَاللَّهِ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِمَّةٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ، وَقَالَ تَعَالَى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، وَقَالَ جَل وَعَلَا: مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أَمَّا الْحَسَدُ فَهُوَ فَضْلًا عَنِ كَوْنِهِ وَفُوعًا فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ، فَهُوَ مُفْسِدٌ لِحَيَاةِ صَاحِبِهِ، مُقْلِقٌ لِرَاحَتِهِ، مُذْهِبٌ لِنَعِيمِ قَلْبِهِ وَصَفَائِهِ، مُزِيلٌ لِسَلَامَةِ صَدْرِهِ وَتَقَائِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا هَذَا لَكَفَى بِهِ زَاجِرًا عَنْهُ وَرَادِعًا، كَيْفَ وَهُوَ وَفُوعٌ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: ((لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))!؟

إِنَّ الْكِبَائِرَ لِلطَّاعَاتِ مُفْسِدَةٌ... وَإِنَّ أَفْسَدَهَا لِلطَّاعَةِ الْحَسَدُ لَا تُضْمِرَنَّ عَلَى ذِي نِعْمَةٍ حَسَدًا... إِنَّ الْحَسَدَ مِنَ الرَّحْمَنِ مُبْتَعِدٌ وَافْتَعُ بِرِزْقِكَ فَالْأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ... سِيَّانَ فِي الرِّزْقِ بَطَالٌ وَمُقْتَصِدٌ فَإِنَّ حَسَدَتَ امْرَأً فِيمَا يُحْصَى لَهُ... فَادْهَبْ فَمَا لَكَ إِلَّا الْإِثْمُ وَالْكَمْدُ

لَقَدْ جَعَلَ الْحَسَدُ وَحُبُّ الْأَثَرَةِ بَعْضَ النَّاسِ بَعْضًا مُبَغِّضًا، غَيْرَ مَأْلُوفٍ وَلَا مُحِبُّوبٍ، مِمَّا حَرَمَهُ كَمَالَ الْإِيمَانِ وَلَدَّتَّهُ، قَالَ: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا الْمُؤَطَّوُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا . عِبَادَ اللَّهِ . إِخْوَانًا، وَأَحِبُّوا لِإِخْوَانِكُمْ مَا تُحِبُّونَ لَأَنْفُسِكُمْ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا.



إِنَّا نَشْتَكِي فَلَيْتَ الْأَمْطَارِ وَتَأَخَّرَ الْغَيْثِ وَعَوَّرَ الْأَبَارِ، وَمِنَّا مَنْ لَا يَجِدُ فِي رَاتِيهِ بَرَكَهٌ وَلَا سَدَادًا،
وَأَخْرُونَ يَشْتَكُونَ الْهَمَّ وَالْعَمَّ وَالْأَمْرَاضَ النَّفْسِيَّةَ وَالْحَزْنَ، فَإِذَا مَا تَأَمَّلْنَا فِي وَاقِعِنَا فَإِذَا التَّنَافُسُ عَلَى
الدُّنْيَا وَالتَّحَاسُدُ عَلَى حُطَامِهَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ بَيْنَنَا، وَهَذَا مَا حَشِيَهُ عَلَيْنَا النَّاصِحُ الْحَبِيبُ صَلَوَاتُ رَبِّي
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ وَصَلَّى مَعَهُ أَنَسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ صَلَاةَ
الْفَجْرِ وَتَعَرَّضُوا لَهُ تَبَسَّمَ حِينَ رَأَاهُمْ ثُمَّ قَالَ: ((أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ؟))، قَالُوا: أَجَلُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((فَابْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ
عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ)).
وَصَدَّقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْأَرْزَاقُ فِي أَيْدِي النَّاسِ قَلِيلَةً وَالْأَحْوَالُ مَيَسُورَةً كَانُوا
كَالْإِخْوَةِ وَإِنْ تَبَاعَدَتْ أَرْحَامُهُمْ، فَلَمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَغْنَاهُمْ تَنَافَسُوا وَتَحَاسَدُوا وَاسْتَنَكَرَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا، وَصَدَّقَ اللَّهُ إِذْ يَقُولُ: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافِيسٌ. أَن رَّاهُ اسْتَعْنَى.
أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَعُودُوا إِلَى جَمَاهُ، وَاقْنَعُوا وَعَلَى اللَّهِ فَنَوَكَّلُوا، وَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِكُمْ، وَطَهِّرُوا مِنَ الشُّحِّ
وَالْأَثَرَةِ وَحُبِّ الدَّاتِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ.